

بقلم: اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ١ -

القاعدة الثابتة التي لا يمكن أن تتغير ـ ليس بالنسبة للعرب وحدهم، بل بالنسبة الى شعوب العالم كلها ـ هي ان الشعب ـ كل الشعب ـ لا يكون قويا ما لم يكن موحد الصفوف والاهداف • ولم نسمع بأمة من الامم استطاعت أن تكون قوية ، لها مكانة مرموقة بين الامم ، وهي متفرقة الصفوف والاهداف •

الوحدة تجعل من الامة قوة ضاربة لا تغلب من قلة أبدا ، والفرقة تجعل من الامة غثاء السيل لا قيمة لها في حرب ولا في سلام • ولو أردنا أن نضرب الامثال من الامم غير العربية ، لضاق بنا المقام ولاحتجنا الى مجلدات ، وحسبنا أن نذكر ان ألمانيا وايطاليا مثلا ، كانتا قبل الوحدة مستعمرتين للنمسا تارة ولفرنسا تارة اخرى ، ولكنهما أصبحتا بعد الوحدة دولتين من الدول العظمى ، وقد استطاعتا أن تفرضا على الدول احترامهما بعد الوحدة وهددتا العالم كله بسيطرتهما القاهرة خلال النصف الاول من الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـ١٩٤٢) • والولايات المتحدة الامريكية نفسها كانت مستعمرة كبيرة من مستعمرات بريطانيا ، ولكنها بالوحدة استطاعت أن تنال استقلالها أولا ، وأن تتضخم قوتها بعد ذلك حتى أصبحت أقوى قوة واعظم مكانة من بريطانيا سيدتها أمس •

وقد كان للعرب دول محلية قبل الاسلام : في اليمن السعيد ، وفي العراق ، وفي سورية ، عاشت فترة من الزمن ولكنها لم تترك لها أثـرا ذا قيمة عالمية ، كما فعل العرب بعد الاسلام • وكان الموقف العـربي قبل الاسلام يتلخص بما يلي :

اليمن السعيد فيه نفوذ الاحباش ، والفـرس وفيه قبائل مستقلة - خاصة في الجبال - عن هذين النفوذين •

وفي العـراق دولة المناذرة ، خاضعة للفرس ، وفي الشـام دولة الغساسنة خاضعة للروم • وفي الجزيرة عرب خاضعون للروم ، وفي نجد والحجاز قبائل عربية ، كل قبيلة مستقلة عن الاخرى • كان العـرب حينذاك في جاهلية فكرية ، وفي جاهلية استعمارية وفي جاهلية عصبيـة ، وفي جاهلية دينية ، وفي جاهلية التمزق والتفرق والتناحر والاختلاف •

وجاء الاسلام ، فوحد صفوف العرب وجمع كلمتهم وحدّد أهدافهم فأصبحوا في شبه الجزيرة العربية صفا واحدا يعملون بقيادة واحدة هي قيـادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلم يلتحق النبي (ص) بالرفيق الاعلى الا وكان عرب شبه الجزيرة العربية التي تتصـل بتخوم أرض الشام ومشارف العراق من الشمال وبالبحر الاحمر مـن الغرب وبالمحيط الهندي من الجنوب وبالخليج العربي من الشـرق ، وحدة تحت لواء الاسلام • وارتد قسم من العرب بعد وفاة النبي (ص) فقاتلهم أبو بكر الصديق (رض) ، حتى استطاع أن يعيد الوحدة الى عرب شبه الجزيرة العربية ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها متنفسا في الفتح الاسلامي العظيم • وفي أواخر أيام أبي بكر الصديق (رض) ،

---

(١) جزيرة ابن عمر •

توجهت طلائع الفتح الاسلامي الى العراق وأرض الشام ، فاستطاع المثنى ابن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد رضي الله عنهما أن يربحا معارك كثيرة في العراق ، كما استطاع جيش المسلمين في (اليرموك) أن يربح معركة حاسمة في أرض الشام .

وارتفع مد الفتح الاسلامي ارتفاعا مذهلا في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاستطاع قادة الفتح الاسلامي في أيامه فتح العراق والجزيرة وأرض الشام ومصر وشطرا من بلاد فارس .

وبقي مد الفتح الاسلامي طاغيا عاتيا في النصف الاول من حكم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما نشب الشغب في النصف الثاني من حكمه بين المسلمين ، توقف الفتح ، واستطاع الفرس استعادة قسم من بلادهم في خراسان من المسلمين .

وبقي الفتح الاسلامي مجمدا في أيام الفتنة الكبرى ، بل أصبحت البلاد الاسلامية مهددة بالغزو من الروم ، فزحف قيصر الروم في جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام . وخاف معاوية بن أبي سفيان أن يشغله ذلك عما يحتاج الى تدبيره وأحكامه ، فوجه الى الروم وصالحهم على مائة ألف دينار ، وهكذا أصبح الطالب مطلوبا بفضل التفرقة والانقسام . وحين استتب الامر لمعاوية أغزى أمراء الشام على الصوائف ، فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة . عند ذلك طلب قيصر الروم الصلح على أن يضعف مايقدمه للمسلمين من مال ، فلم يجبه معاوية الى طلبه . واستأنف الفتح الاسلامي سيره المتدفق في الشرق والغرب بعد أن وضعت الفتنة الكبرى أوزارها ، فاستعاد العرب المسلمون فتح (سجستان) وفتحوا (كابل) كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جيحون) ففتحوا بخارى وسمرقند و (ترمذ) كما فتح عقبة بن نافع (تونس) واختط قيروان وسكن المسلمون (افريقية) وأسلم البربر وتصل الاسلام ببلاد السودان

وبالمحيط الاطلسي •

وفي الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية ، وهناك توفي أبو أيوب الانصاري صاحب الرسول (ص) ولا يزال قبره محفوظا مشهورا الى اليوم • وكان هذا الفتح كله بفضل الوحدة أيضا •

- ٣ -

وبعد معاوية بن أبي سفيان بدأت الفتنة الداخلية : في استشهاد الحسين بن علي (رض) وحركات المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وبعده مصعب بن الزبير ، وثورة الخوارج ، وثورة عبدالله بن الزبير ••• الخ • فاضطربت أمور العرب المسلمين وتفرقت كلمتهم ، فكان من نتيجة ذلك ان الروم استعادوا أفريقية من المسلمين كما استطاع قيصر القسطنطينية أن يهدد بلاد الشام ، فاضطر عبدالملك بن مروان الى عقد هدنة مع الروم • وفي المشرق توقف الفتح تماما واستعاد الفرس من المسلمين خراسان وسجستان •

وبعد حروب دامية استطاع عبدالملك بن مروان أن يعيد الوحدة عام ثلاثة وسبعين الهجرية فأرسل حسان بن النعمان الغساني لاستعادة أفريقية ففتح (قرطاجنة) وأتم تحرير المغرب العربي من الروم •

وفي سنة ثلاث وسبعين الهجرية وهو عام الوحدة ـ عين عبدالملك أخاه محمد بن مروان واليا على الجزيرة وأرمينية ، وقطع النقود التي كان يرسلها للروم لقاء سكوتهم عن حرب المسلمين ، واستطاع المسلمون سنة أربع وسبعين الهجرية الانتصار على الروم وتوغلوا في بلادهم • وفي سنة ثمان وسبعين الهجرية ، استعاد المسلمون خراسان وسجستان

(٢) انظر التفاصيل في قادة فتح الشام ومصر ١٨١ ـ ١٨٢ •

وفتحوا مدنا أخرى ، واستطاع موسى بن نصير فتح المغرب الاقصى وفتح طنجة وغزا صقلية وفتح الاندلس ، وكان ذلك كله بفضل الوحدة •

- ٤ -

وبعد الوليد بن عبدالملك توقف الفتح الاسلامي حتى سنة انهيار الدولة الاموية ، وهي سنة اثنتين وثلاثين ومائة الهجرية حيث بدأت صفحة الدولة العباسية في التاريخ • وبعد سنة من مولد الدولة العباسية أي سنة ثلاثة وثلاثين ومائة الهجرية استطاع الروم الانتصار على المسلمين في (ملطية) واستعادوها منهم فهدموا المدينة والجامع وأجلوا المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة من هذه المدينة[٣] • وتوالت الفتن والمشاكل منها طائفية ومنها سياسية ولعل أعظمها كان انفصال الاندلس سنة تسع وثلاثين ومائة عن الدولة العباسية[٤] فأصبحت الدولة الاسلامية الواحدة دولتين : دولة في المشرق ودولة في المغرب • وكانت الدولتان قويتين في ابتداء أمرهما ، ولكن استقلال الامصار عنهما بالتدريج أدى في النهاية الى سقوط الدولة العباسة بيد التتار وخروج العرب من الاندلس واستيلاء الصليبيين على قسم كبير من سوريا ولبنان وفلسطين وشمال أفريقية •

ومر على العرب فترة كان لهم في كل بلد دولة • وهذا التفرق هو الذي أدى بهم الى الضعف والهوان ، فطمع ببلادهم الصليبيون وغير الصليبيين ، ولولا نور الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين اللذان جاهدا من أجل الوحدة ووحدا من أجل الجهاد لما استطاع العرب استعادة القسم الاكبر مما اغتصبه الصليبيون من بلادهم •

- ٥ -

وبقي العرب ضعفاء لتفرقهم مستعبدين لغيرهم من الامم حتى انتهاء

(٣) انظر التفاصيل في : قادة فتح المغرب العربي ٢/٩٩ ـ ١٠١ •
(٤) انظر التفاصيل في : قادة فتح المغرب العربي ١/٢٣٢ ـ ٢٧٣ •

الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨ فاحتل المستعمرون بلادهم وأقاموا الحدود والسدود بين الاقطار العربية ، وشجعوا الروح الاقليمية والطائفية على مبدأ : (فرق تسد) ، وأشاعوا الانحلال الخلقي ، ونشروا المبادىء الوافدة ، وجعلوا العرب يشيحون بوجوههم عن تراثهم العريق ، وعمقوا في عقولهم آثار الاستعمار الفكري البغيض .

ثم خلقوا اسرائيل في بقعة من بقاعنا المقدسة لتكون قاعدة ضخمة لهم يعتمدون عليها في أيام السلام والحرب . لقد قدر الاستعمار ان العرب لن يبقوا في سبات عميق الى قيام الساعة ، ولمس بحق عزم العرب على أخذ حقوقهم كاملة من المستعمرين ، فخلقوا اسرائيل لتكون عونا لهم على اضعاف العرب ، واستنزاف طاقاتهم المادية والمعنوية كلما ارادوا تطوير بلادهم والتحرر والانطلاق من ربقة الاستعمارين القديم والجديد ، كانت اسرائيل قاعدة الاستعمار في الشرق الاوسط في أيام السلام ، لان العرب مضطرون على تقوية جيوشهم عددا وسلاحا ، وهذا يحتاج الى المال الوفير والجهد المضني ماكان أحوج العرب اليهما في تطوير بلادهم لولا وجود اسرائيل .

واسرائيل قاعدة الاستعمار في الشرق الاوسط في أيام الحرب ، لان الاستعمار يزودها بالسلاح وبالخبرات الفنية لتكون قوية دائما قادرة على ضرب الدول العربية التي تخرج على مصالح الاستعمار وتعمل من أجل بلادها ومصالحها العليا . وهي قاعدة للاستعمار أيضا في حالة نشوب حرب عالمية ثالثة بين الشرق والغرب لذلك فمن مصلحة الاستعمار الذي خرج من باب الدول العربية دخل الى الشرق الاوسط من نافذة اسرائيل، لهذا دأب المستعمرون على الادعاء بأن اسرائيل خلقت لتبقى ، وذلك لان

(٥) العبر ١/١٧٩ .
(٦) الطبري ٢/١٤٤ .

بقاءها من مصلحة الاستعمار ، والاستعمار كما هو معلوم مسيطر سيطرة كاملة على الهيئات الدولية ، وعلى مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة بالذات . فلا مجال للعرب أن يأخذوا حقوقهم بالوسائل السياسية في أروقة الامم المتحدة ومجلس الامن أو في المجالات السياسية الاخرى . وعلى ذلك لم يبق أمام العرب غير طريق واحد هو أن يأخذوا حقوقهم بالقوة ... وبالقوة وحدها .

وسبيل القوة هي الوحدة والوحدة العسكرية على الاخص بين العرب . أقولها صريحة واضحة : اذا لم يضع العرب الوحدة العسكرية في حيز التنفيذ فورا ، فانهم بعد سنوات سيكونون اما عبيدا في بلادهم أو لاجئين خارج بلادهم .

وقد أعذر من أنذر ...

محمود شيت خطاب

محتويات العــدد

الصفحة



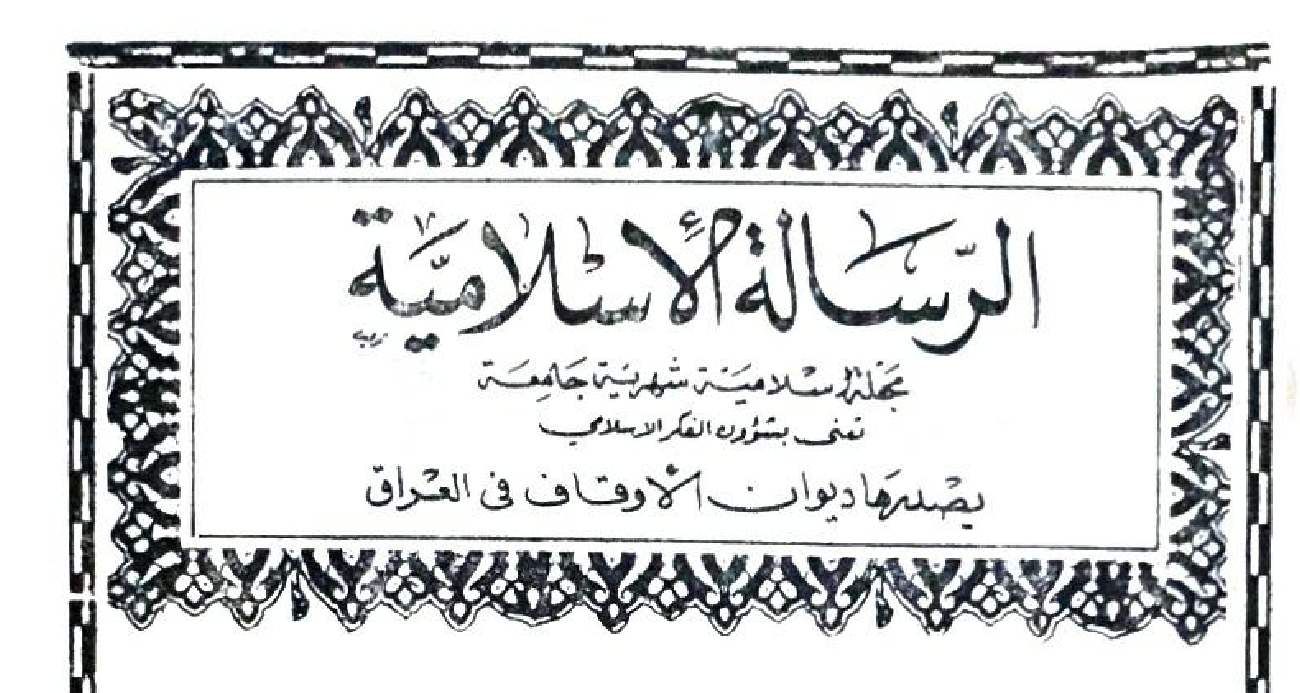
الرسالة الإسلامية

كريب

يصدرها : ديوان الأوقاف في العراق

العدد ٧٨ - ٧٩

السنة السابعة



رئيس التحرير المسؤول

عبدالله الشيخلي

سكرتير التحرير

عبدالله الجبوري

عضو هيئة التحرير

حبيب الهرمزي

توجه المراسلات والحوالات باسم رئيس التحرير

رمضان وشوال ١٣٩٤هـ

تشرين الاول والثاني ١٩٧٤م

العددان ٧٨ ، ٧٩

السنة السابعة

مطبعة الارشاد ـ بغداد

